الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف–المسيلة

مخبر الشعرية الجزائرية

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

شهادة مشاركة

يشهد السيد مدير مخبر الشعرية الجزائرية، والسيد عميد كلية الآداب واللغات بجامعة المسيلة،أن الأستاذة:**مليكة صياد**–جامعة الجلفة،قد شاركت في أشغال الملتقى الوطني الثالث–**أشعار عثمان لوصيف بين الفن والتصوف**–، من تنظيم مخبر الشعرية الجزائرية بالتنسيق مع كلية الآداب واللغات–جامعة محمد بوضياف المسيلة،وذلك يوم:2019/04/29م، بمداخلة موسومة ب:**الرموز الصوفية بين العموم والخصوص في التجربة الشعرية لعثمان لوصيف.**

المسيلة في:2019/04/29م

عميد الكلية

عميد كلية الآداب واللغات بالنيابة

عمار بن لقريشي

مدير مخبر الشعرية الجزائرية

أ.د. فتحي بوخالفة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

مخبر الشعرية الجزائرية

استمارة المشاركة

–اسم الباحث(ة): مليكة –لقبه: صياد

–المؤهل العلمي: باحثة في طور الدكتوراه سنة رابعة ل–م–د –الرتبة:

–القسم: اللغة العربية وآدابها –التخصص:نقد جزائري معاصر

–الكلية(المعهد): الآداب واللغات والفنون –الجامعة: زيان عاشور(الجلفة)

–المدينة : مسيلة –البلد: الجزائر

–الهاتف: 0665144682 –البريد الإلكتروني: : malikasiad2015@gmail.com

–محور المشاركة: تأثير التجارب الصوفية في شعره

–عنوان المشاركة: الرموز الصوفية بين العموم والخصوصية دراسة في التجربة الشعرية لدى عثمان لوصيف

–الكلمات المفتاحية : الرموز الصوفية – العموم والخصوصية – التجربة الشعرية – عثمان لوصيف

–الملخص:

لجأ الإنسان إلى استعمال الرمز مذ عرف طريقه نحو الإبداع، ومذ وجد في الكناية بدل التصريح، وفي التخفي بدل التجلي؛ مقاربة للمعنى أكثر، وغورا في الدلالة إلى أبعد مدى، ومذ وجد فيه قدرة على البوح مما يُخاف منه، وقناعا للهروب من السلطات الطاغية، والعادات البالية، والمقصات العاتية التي لا ترحم، فاختلفت أشكال الرمز ومعانيه، وتعددت صور استعماله، واختلفت مصادر استلهامه؛ فكان الرمز ولما يزل الصديق الأمين، والحامل العجيب لطاقة معنوية وكثافة دلالية، يعجز غيره عن حملها.

ولما كانت الآثار الأدبية من أهم إنجازات الإنسانية؛ ولما كانت هذه الأخيرة من أهم الإبداعات التي احتفت بالرمز كوسيلة للتعبير- ورغم قدم ظاهرة الرمز في الأدب إلا أنه قد استطاع أن يحافظ على حضوره وألقه حتى في التجارب المعاصرة- فقد ارتأينا أن نسلط قليلا من الضوء على بعض الرموز الصوفية في التجربة الشعرية لدى عثمان لوصيف .

فكيف تجلى الرمز الصوفي في شعره ؟ هل استطاع عثمان لوصيف أن يبدع رموزا صوفية خاصة به وحده، أم اكتفى برصيد غيره منها ؟ وما هي أهم الدلالات التي حملتها رموزه الصوفية ؟ وماذا أضافت لتجربته الشعرية ؟ وكيف ساهمت في اغتنائها ؟ هاته الأسئلة ستتحرى هذه المداخلة الإجابة عنها في حدود المستطاع .

مقدمة

رغم قدم ظاهرة استعمال الرمز في الأدب، إلا أنها مؤخرا – في العصر الحديث والمعاصر – قد عرفت انتشارا واسعا، واستعمالا مكثفا ، لا سيما في الشعر، وعندما نتحدث عن التجربة الشعرية، فإننا نقترب كثيرا من الذات الإنسانية، الذات الفردية؛ لأن الشعر في غالبية الأحيان يكون ترجمانا للنفس، هاته الأخيرة لطالما وجدت وعلى مدار قرون عديدة ضالتها في التجربة الشعرية؛ التي استطاعت نقل خباياها، والإفصاح عن مكنوناتها، ويسرت لها الدرب للمناجاة أو البوح، خاصة تلك النفس التي نزعت إلى تطليق الدنيا بكل بمادياتها وبهرجها، وعزمت على السفر إلى الذات الإلهية، فتجردت من كل الماديات، واعتنقت كل الروحانيات، فيما عرف بالتجربة الصوفية، فتولد الشعر الصوفي؛ حيث وجدت بعض النفوس في التصوف راحتها، وفي الشعر وسيلتها لتحقيق غايتها .

من هنا ونظرا لأهمية الشعر الصوفي، وجمالية هذه التجربة، أردنا أن نطلع على أهم الرموز الصوفية في التجربة الشعرية لعثمان لوصيف، من خلال تمييز عتيدها من جديدها .

1-ماهية الرمز

يلجأ الأديب كاتبا كان أو شاعرا، إلى استعمال الرمز، وتتعدد أسباب ذلك ودوافعه من كاتب لآخر؛ وهي ظاهرة إما تفرض نفسها نتيجة معطيات واقعية، وإما يختارها الكاتب عن إرادة وطواعية، وفي كلتا الحالتين يعمد الأديب إلى اختيار هذا المنحى بحكم وعيه الكامل بكثافة الدلالة التي يمكن للرمز أن يستوعبها، وبالمرونة السلسة التي يمتلكها؛ ذلك أن الرمز مثل الوعاء ينضح بما سكب فيه، والرمز قد يكون ثابت الدلالة مشهورها، وقد يكون متغير الدلالة مغمورها، حسب نوع الرمز ودرجة استعماله .

ولقد شاع استعمال الرمز في كل ما جادت به قريحة الإنسان، ذلك أن اللغة العادية قد تعجز أحيانا عن وصف ما تجيش به النفس، كما أن الأمور الروحانية التي لا تجد لها معادلا لغويا، قد تجد قد سبيلا للتعبير عنها في عالم المحسوسات فتتخذ التسميات كرموز لمسميات أخرى :« والرمز معناه الإيحاء أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى على أدائها اللغة في دلالتها الوضعية .»[1] بمعنى أنه انزياح اللفظ عن معناه المتوارث إلى معنى آخر قصد إليه الكاتب .

عبر الإنسان عن الأشياء التي خبرتها حواسه، واحتاج إلى لغة ثانية للتعبير عن الأمور التجريدية، فكان الرمز؛ حيث :« إنه عبارة عن إشارة حسية مجازية لشيء لا يقع تحت الحواس.»[2] لقد أراد الإنسان أن يحلق في سماء المعاني، وألا يقف عند حدود المعنى الواحد، للفظ الواحد، فثار على كل تقييد يلزم اللغة بأن تبقى محصورة الدلالات، فأبدع لنفسه طريقة تفتح أمامه الباب على مصراعيه لولوج عالم أرحب من معاني لا محدودة، ولا نهائية، وفجر في اللغة طاقاتها الكامنة، فأصبح اللفظ الواحد يحيل على معنى مخالف تماما لما تواضع عليه الناس :« فالإبداع الرمزي يسبر غور فكر عميق، ويجلو عن حالة شعورية تداهمه، ربما لا يدرك ماهيتها، أو لا تستطيع اللغة أن تجلو غامضها، فيتخذ المحسوسات وسيلة لها.»[3] هذا بالإضافة إلى أن طريقة استعمال الرمز، وكما تساعد الكاتب على التحليق بعيدا في فضاء التعدد الدلالي، تساعد المتلقي كذلك على استخدام مخيلته الواسعة للقبض على بعض الدلالات التي قصد إليها المبدع، أو مقاربتها، أو على الأقل اكتناه مجالها، خاصة بعد انفتاح الاستعمال اللغوي على أكثر من تأويل، وبعد أن أصبحت أرض المعاني بلا تخوم، فالتعبير الرمزي هو :« أن توحي بأفكار أو عواطف باستعمال كلمات خاصة أو أنغام الكلمة في نطاق وثيق لنقل المعنى بتأثر خفي أو غامض بحيث ينطلق المعنى في آفاق واسعة جدا .»[4] إنها الثورة على الجمود بكل أشكاله .

والرمز قديم قدم الإبداع ذاته حيث :« إن استخدام الرمز في الأدب يعود إلى بداية الأدب نفسه، واستخدام الرمز ملكة أساسية في التفكير البشري. لقد عرفه الإنسان منذ أقدم العصور، وحاول عبر نسق الرمز معرفة الكون والعالم وكان الرمز وسيلته الأساسية لاستشفاف معنى الكون والدلالات الروحية للأشياء المحسوسة .»[5] والعرب قد عرفوا استعمال الرمز في أشعارهم رغم عدم اشتهار التسمية عندهم – الشعر الرمزي– وقد كانوا يستمدون رموزهم من بيئتهم المحيطة بها، وكان الرمز عنهم يستعمل بمعنى المجاز، والإشارة :« كلمة الرمز هي ليست غريبة ولا جديدة على اللغة العربية، فقد وردت في التراث العربي بمعناها الإشاري، فهي في الأدب العربي

القديم الإيحاء النفسي الرحب غير المقيد أو المحدد.»[6] لكن ولادة الاتجاه الرمزي القائم بذاته كانت على يد الغرب فإليهم يعزى الفضل في بلورة هذا الاتجاه، وتأسيسه :« إن الشعر العربي لم يكن بعيدا في مضامينه عن الرموز والإيحاءات الخفية، وإذا كان للغرب فضل يدعيه في هذا الشأن فإنه محصور في دائرة جمع شتات هذا الأدب ولم شمله، وصهره في قالب أدبي ممنهج سمي فيما بعد بالأدب الرمزي.»[7] حيث إنه قد ظهر كرد فعل على الاتجاه الرومانسي، وقد أوغل الشعراء في استعمال الرمز، وبالغوا فيه، حتى أن القصيدة باتت رمزية بامتياز .

والحقيقة أن الرمز وإن استعمل في كل الأجناس الأدبية، إلا أن استعماله في الشعر كان مكثفا، ولم يكن ذلك من فراغ بل لأن الشعر بحكم تكونه من قصائد محددة، وبحكم أن للقصيدة حجم محدد، فإن الشاعر كان يحتاج إلى إيصال معاني كثيرة ضمن عبارات قليلة، ولذلك لجأ إلى تكثيف الدلالة التي لم تجد إليها سبيلا أفضل من الرمز :« فالرمز سمة ملازمة للنص الأدبي بصفة عامة وللنص الشعري بصفة خاصة، فالخطاب الأدبي عموما خطاب رمزي في الاعتبار الأول، وهو رمزي في محصلته النهائية، ورمزي في حلقاته الجزئية النامية أي أنه جهد تعبير يحشد بالدلالات الرمزية التي تتفاوت حيوية وافرة من شاعر إلى آخر.»[8] ولذلك أغرم الشعراء بالرمز، فغازلوه، واستدعوه بكل أشكاله، وأنواعه، وضمنوه قصائدهم، وحملوه رسائلهم .

2-أنواع الرمز :

يسمى الرمز بحسب ما يسكب فيه من دلالة، وبحسب البيئة التي أُستقي منها، وقد اختلف الباحثون في أنواع الرموز لأنهم قسموها حسب اعتبارات مختلفة :« وكما اختلف العلماء في تحديد مفهوم واحد للرمز اختلفوا أيضا في تقسيم الرموز، فمنهم من قسمها كرموز سيكولوجية مرجعيتها السلوك البشري، كسيجموند فرويد صاحب النظرية الشهيرة(التحليل النفسي)...ومن العلماء من قسمها رموزا عامة(جماعية)، ورموزا خاصة (فردية)، ومنهم من قسمها تقسيما آخر اعتمد فيه على الأطر المرجعية، فسمى بعضها رموزا تاريخية، وأخرى أسطورية، وأخرى دينية، وأخرى تراثية، كما أن هناك من أطلق على الرموز المبتدعة من قبل الأديب أو الشاعر الرموز الشخصية.»[9] ومن أهم الرموز نأتي على ذكر :

2-1-الرمز الأسطوري

وهو أقدم الرموز؛ لأن الأسطورة من أقدم الأجناس الأدبية، والرمز الأسطوري..... :« يعد الرمز الأسطوري الأكثر شيوعا في الأدب العربي الحديث والمعاصر إذ يحيل على دلالات متنوعة، اقتبسها الشاعر

العربي من أكثر من نبع، فبعضها من الحضارات اليونانية، وبعضها من الحضارات البابلية، وأخرى من التراث العربي القديم .»[10] ولأن الأساطير كانت بمثابة إجابات، وتفسيرات عن أسئلة حيرت فكر الإنسان في عهود البشرية الأولى، فقد اكتست أهميتها من المكانة التي احتلتها في نفوس الناس الأوائل، وما زالت تحظى بأهمية كبيرة، ليس لأن الإنسان المعاصر، قد وجد فيها ضالته، ولكن لأن الأدب قد خلدها على مر العصور .

2-2-الرمز التاريخي

الإنسان لا يستطيع أن يعيش مفصولا عن ماضيه، والتاريخ جزء من الماضي، بل هو أهم أجزاء الماضي ، يظل الإنسان يتكئ عليه متدبرا أحيانا، ومعتبرا أحيانا أخرى، ومفتخرا أحيانا، ومتحسرا أحيانا أخرى، فهو يظل مرتبطا بهذا التاريخ، متواصلا معه، ومتفاعلا وإياه، يستخلص منه الدروس، ويستمد منه العزيمة، ولذلك كان التاريخ مرجعا هاما بالنسبة للأديب؛ يستقي منه رموزا ظلت ولما تزل إلى اليوم تنبض بالحياة، و:« الرمز التاريخي هو لجوء الشعراء والكتاب إلى الغوص في التاريخ كي يستقون منه ويستمدوا من شخصياته وأحداثه ثم توظيفها واستخدامها في كتاباتهم للتعبير عن مواقفهم المتباينة والخفية وغير المباشرة،. وقد يلجأ الأديب إلى اتخاذ الشخصيات التاريخية كأقنعة معينة ليعبر بواسطتها أو من ورائها عن موقف أو بالأحرى مواقف يريدها أو من أجل محاكاة نقائص العصر الحديث من خلالها.»[11] وقد يكون هذا الرمز عبارة عن شخصية، أو حدث، أو موقف ما، إلى غير ذلك من الأمور التي خلدها التاريخ .

2-3-الرمز الطبيعي

رغم أن الطبيعة بكافة رموزها قد لاحت بظلالها على الشعر الرومانسي، حيث يطغى الرمز الطبيعي على المدونة الشعرية الرومانسية، لكننا لا نعدم استعمال هذا الرمز لدى باقي الشعراء بما فيهم الشعراء الصوفيون، والمقصود بالرمز الطبيعي :« هو استخدام الشاعر لعناصر الطبيعة ليعبر بواسطتها عن أحاسيسه وعما يختلج فؤاده من مشاعر وانفعالات، واستخدامه لهذه العناصر لا يخرجه عن دائرة الشعر الواقعي، وإن كانت هذه الخاصية من خصائص الأدب الرومانسي وقد قسم الإيطالي امبيرتو إيكو العلامات إلى ثمانية عشر نوعا، منها العلامات الطبيعية ويقصد بها ما في الطبيعة من شجر وماء وجبال .»[12] وكثيرا ما تأتي هذه الرموز محملة بدلالات تبعدها عن مجالها الأصلي، أو المعتاد .

2-4-الرمز الديني

كان الدين ولما يزل من بين أكثر الأمور التي لا يستطيع الإنسان أن يستغني عنه بحكم طبيعته المكونة من جسم وروح، فكما يحتاج جسم الإنسان للغذاء، ليقوم بمهامه، تحتاج روح الإنسان للدين ليستقر كيانه، ويطمئن باله . ولذلك ظل الرمز الديني من أكثر الرموز التي احتفى الشعراء بها، فالإنسان قد يستغني عن كل شيء في حياته لكنه لا يستطيع أن يعيش فراغا روحيا، وخواء دينيا، فنشأة الدين ارتبطت بنشأة الإنسان، ولذلك كان الرمز الديني حاضرا في الشعر منذ العصر الجاهلي، وإلى غاية اليوم، والرمز الديني هو كل رمز خرج من رحم ديانة ما، سواء سماوية، أو وضعية، على أن أشهر الرموز الدينية هي تلك المتولدة من الدينات الثلاث المشهورة، وهي المسيحية، والنصرانية، والإسلام .

2-5-الرمز الصوفي

تجربة التصوف تجربة موغلة في القدم، يعود ظهورها إلى مجيء الإسلام حسب رأي معظم الباحثين، والمتصوفة لهم طقوس معينة خاصة بهم، يتفقون عليها، ونتيجة للسفر الروحي الذي كانوا يحظون به، فقد كانوا يحتاجون دوما إلى التعبير عن سفرهم،ونقل تجربتهم الذاتية إلى الغير، ولم يجدوا لهم سبيلا إلى ذلك أفضل من الشعر، ولما كانت لهم قواسم مشتركة فقد كانوا يتفقون حتى في لغتهم؛ حيث إنهم قد أبدعوا قاموسا لغويا خاصا بهم، بل إنهم اختارواشفرة رمزية يصعب على غير الصوفي المتمرس فكها :« وأقصد بالرمز الصوفي، هو ذلك الرمز الذي استقر رصيدا في التجربة الصوفية، ينظر إليه من تركيب غنوصي خاص، يكشف عن الجانب الميتافيزيقي في شعر الصوفية وهو الجانب الذي يتحقق فيه على حد قول كارل ياسبرز Karl jaspers نبضة العلو المحايث، إذ يباعد بيننا وبين اعتبارات العالم التجريبي، وابتذال الحياة اليومية .»[13] لكن الرمز الصوفي لم يبق حكرا على معجم معين، بل إننا نجد يوما بعد يوم محاولات تجديدية واعدة سواء في الرمز، أو في الدلالات التي يحملها .

3-تعالق التجربتين الشعرية والصوفية

تتقاطع التجربتين الشعرية والصوفية في نقاط عديدة، بل إننا نادرا ما نجد التجربة الصوفية مترجمة في وعاء آخر غير وعاء الشعر؛ وذلك لأن الصوفية تجربة ذاتية محضة، وهي عبارة عن أحوال نفسية تعتري المتصوف تجعله ينبذ العالم المادي، ويعيش في عالم آخر تسمو فيه روحه، :« الشعر لغة الوجدان ونتاج الخيال المبدع والشعور المرهف، وكذلك التجربة الصوفية تجربة ذاتية وجدانية يعيشها المتصوف يترقى في مقاماتها، ومن ثم لا يمكن التعبير عنها بما هو عقلي فاختار الوسيلة المناسبة لها والتي تكون هي الأخرى

وجدانية فلم يجد إلا الشعر لأنه أقرب إليها من النثر .»[14] ولذلك لا نصادف في الحياة الأدبية نثرا صوفيا، كقصة صوفية، أو رواية صوفية، ولكن شعر الزهد، أو شعر التصوف، أو الشعر الصوفي موجود بوفرة .

هذا بالإضافة إلى أن الشعر والتصوف كلاهما يمس عاطفة الإنسان بطريقة مباشرة، بخلاف الأجناس الأدبية الأخرى، التي تحتاج إلى إعمال الفكر :« إن بين التصوف والشعر بخاصة والفن بعامة، وشائج قربى تتمثل في أن كليهما يحيل على العاطفة والوجدان... ويعني هذا أن التصوف والشعر كليهما، لا ينتميان لنسقين مختلفين ففي التجربة الصوفية أو التجربة الشعرية على حد سواء، نحصل على ضرب من الجد المكثف، وننخرط بواسطته في وعينا الداخلي الذي لا يفتأ يأخذ في الاتساع والنمو والتمدد ، ونطرح ما كنا منغمسين فيه من تفاهة الحياة اليومية وابتذالها، ونركز وعينا الذي أصبح أكثر كثافة وامتلاء، وقد غدونا قادرين على ألا ينزلق هذا الوعي متسربا في فراغ الوهم وبطالة الفكر، والتأمل والشعور.»[15] فالمبدع المتصوف إذن لم يمل إلى الشعر من فراغ؛ ولكن لأنه وجد فيه أفضل الطرق للتعبير .

4-الرموز الصوفية عند عثمان لوصيف بين العموم والخصوصية

استعمل عثمان لوصيف في قصائده كل أنواع الرموز، لكنه احتفى بشكل خاص بالرمز الصوفي، لقربه من تجربته الصوفية التي عايشها في حياته اليومية :« ويندرج احتفاء الشاعر لوصيف بالرمز الصوفي ضمن انخراطه في التجربة الصوفية التي تعد رد فعل على تجربة وجودية بدا فيها الشاعر مرهقا ومثقلا بهموم الآخرين لكنه ظل يسير إلى الله وهو مثقل بتلك الأعباء في وعي مفعم بالتوقد بعد أن وصل معه الوعي إلى درجة عالية من الحكم على الأشياء بمنظور معرفي قائم على تجربة الوعي الإبداعي المرتبط بالواقع الذي لفظه.»[16] لكن رغم اتفاق معظم شعراء الصوفية على رموز محددة إلا أن لكل شاعر بصمته الخاصة .

اشتهر الشعراء الصوفيون باستعمال الوصف الحسي، والأشياء الحسية للدلالة على أمور تجريدية لم يجدوا لها معادلا لغويا، على أن أشهر الرموز تمثلت في: المرأة، والخمرة، والغزل الحسي، ولكنها جاءت بشحنات دلالية مختلفة عن المألوف :« وليس الرمز في الشعر الصوفي راجع إلى الكنايات وحدها، وإطلاق أسماء من قبيل الرموز الخفية على مسميات لا يراد التصريح بها كإطلاقهم "الخمرة" على لذة الوصل ونشوته، والمعاني الحسية التي يستعملها الصوفيون في الدلالة على المعاني الروحية يرمزون بها إلى مفاهيم وجدانية ومن ثم استعمل الصوفيون الوصف الحسي، والغزل الحسي، والخمرة الحسية، وأرادوا بها معاني روحية وسبب ذلك هو عجز الصوفيين على طوال الأزمان إيجاد لغة للحب الإلهي تستقل عن لغة الحب الحسي كل

الاستقلال.»[17] وقد وافق عثمان لوصيف غيره من شعراء الصوفية في هذه الاستعمالات؛ إذ يقول في إحدى قصائده :

:« جسمك فاكهة البحر

جسمك عيد المرايا

وجسمك مجرى المجرات..

أنت النبيذ الإلهيّ

أنت بين يدي

وأنت البراءة تفتر عن ليلة القدر.»[18] وهنا يتحدث الشاعر عن محبوبته الجزائر، فمثلها امرأة، وتغزل بها، مخاطبا جسمها، مشبها إياه بالخمرة التي تسكر شاربها، بل أكثر من ذلك إنها تذكره بليلة القدر التي يخلص فيها المؤمن العبادة لله طمعا في الثواب والمغفرة، إنها أكثر ليلة مقدسة عند المسلمين، وكذلك هي حبيبته، إنها تحظى بنفس التقديس عنده .

ولكنه تميز عن غيره باستعماله رمز "العريّ"؛ فكثيرا ما تحدث الشاعر عن عريّ حبيبته، ولكن الحقيقة أنه لم يقصد العريّ المادي، أي التجرد من الثياب، ولكنه قصد العريّ الروحي، وهو التجرد من الأدران النفسية المشينة، يقول الشاعر في مطلع قصيدته "حورية الرمل":

« وقفت حورية الرمل تغني

عارية

فرشت وردتها

قالت : تطهر بالخطيئة

فطرة الرمل بريئة

وهراء ما رواه الراوية .»[19] حيث طلب الشاعر من حبيبته أن تتعرى، ولكنه لم يقصد أن تتعرى حسيا، ليستمتع هو بمشاهدة مفاتنها، ولكنه طلب منها أن تتعرى، بمعنى أن ترجع إلى فطرتها الأولى، فطرتها النقية، أو لا يولد الطفل عاريا طاهرا من الشرور والآثام، وهو ما يؤكده المقطع التالي من قول الشاعر عثمان لوصيف في ديوان "أعراس الملح" :

« هاتي يديك غزالتي! هذا أوان الرقص، دوري في الزوابع

وأرقصي عريانة

فوق الخرائب والحرائق، واسقطي

نشوانة... .»[20] فهو يؤكد على العري، إذ يطلب منها أن تغني عريانة، وترقص عريانة، وتدور عريانة، إنه التأكيد على العودة إلى الطبيعة، إلى الأصل، إلى الفطرة، حيث الإنطلاقة والبدء، يواصل قوله :

«كان الزفاف، وكنت أنت النار، أنت الموت أنت الحلم

أنت الريح أنت البعث أنت البدء والميلاد أنت نبوءة الكون العميق.»[21] ، وفي أكثر من مرة، يتخذ الشاعر من العريّ رمزا، يشحنه بذات الدلالات، فالعريّ هو النقاء، هو الطهور، هو الجمال الإلهي، هو النور الإلهي

:« أتعرى أنا

وأعريك أنت

أعري الطبيعة فيك

وأخلع عنك فيك

وأخلع عنك فساتينك الضافية

ثم إذا تملكني الحال

تغشى دمي نزوة من جنون

فاشطح باسمك

أحتضن الوهج البكر .»[22] وقد أوغل الشاعر في استعمال العريّ رمزا، فغدا بذلك من الرموز الصوفية التي تدل على النقاء البهاء في أسمى معانيهما .

واتفق الشاعر مع غيره من الشعراء، في استعمال الرمز الطبيعي، من حيث سكب دلالات حسية عليه، واستنطاقه، حيث يقول :

« ها هي الشمس تشرق

عذراء

جذلى

ممزق عنها الحجاب

وتغمغم فوق السهول

وفوق الهضاب .»[23] حيث تغزل الشاعر بجمال طبيعة بلده، فشمسها مثل الحبيبة العذراء، الممزق عنها الحجاب، ولا شك أنه لم يقصد حبيبته المرأة، الكائن البشري، المكون من دم ولحم، ولكنه قصد المرأة التجلي الإلهي، فالرمز هنا جاء مركبا؛ طبيعيا وصوفيا في نفس الوقت

:« أنت سرير القرنفل بلله الضوء

فيروزة الليل ذرذرها النجم فوق المدينة

نافورة المسك رقرقها الفجر بين الصنوبر

ودندنة الله مغسولة بالجوى

أنت هسهسة النهد تحت ارتفاف القميص المخدر

تغتغة الخصر كسره الغنج .»[24] فهو بدل أن يشبه حبيبته بأجمل ما في الطبيعة وفق الصورة النمطية التي درج عليها الشعراء، لجأ إلى فنيات أخرى، حيث شبه آيات الطبيعة- وفي أغلب الأحيان كانت طبيعة بلده- بالحبيبة، وليست الحبيبة العادية، لدى كل الناس، بل المرأة التي جعلها رمزا صوفيا يدل على الحكمة الربانية، وعلى العشق اللامشروط، واللامحدود، وعن العطاء اللامتناهي، وهي أبرز سمات العلاقة بين الذات الإلهية والشاعر المتصوف :« إن الشاعر الرمزي الكبير هو الصوفي بل إنه القديس الذي قام بمعجزة الإتصال بالغيب واستخراج حقائقه، وهذه الصوفية ليست الصلاة وتلاوة المزامير والتهجد بل إنها نوع من التحدي في قلب المادة والتقصيب العميق للرموز التي تحتضنها. هي نوع من الدراسة الروحية للمادة، وتفكيك أطرها وتمزيق حجبها، بحيث يحل الشاعر فيها، ويتحدى بها، وعندئذ يغدو قادرا على أن يشاهد الروح في المادة، والمادة في الروح، وكأنه يقيم أو يتجول في عالم واحد.»[25] فإذا كان شعراء الصوفية يصفون مفاتن المرأة الحسية ليشبعوها دلالات روحية، فإن الشاعر عثمان لوصيف، وصف مفاتن الطبيعة وجسمها على أنها امرأة، ثم انتقل من صورة هذه المرأة – الغير موجودة على أرض الواقع- بل هي من صنع خياله، إلى العشق الأبدي للذات الإلهية ، يقول الشاعر في وصفه لنجمة في السماء :

:« تومض في المجهول

تشدني إليها

فأرتمي في نهم عليها

منخرطا في غبش الفرحة والذهول

في أفق لا يعتريه الموت والذبول

تمد لي يديها

تغسلني بضوئها الدافق من عينيها

وتجتليني كوكبا يهزأ بالأفول.»[26] فالنجمة هنا، بضيائها الأخاذ، لا تشبه امرأة جميلة وكفى، بل إنها ترمز للخلود، ومعلوم أن الخلود سمة من سمات الذات الإلهية، فالشاعر هنا وانطلاقا من وصفه لهذه النجمة يسافر بعيدا في بحر المعاني حيث يطلب من نجمته أن تغسله بنورها، إنه يحلم بتلك اللحظة التي تجتمع فيها ذاته بالذات الإلهية في نعيم لا يزول .

خلاصة

إذا كانت الرمزية قد ثارت على المعاني الواضحة، والمباشرة، وعلى الدلالات السطحية؛ حيث:« اعتبرت الرمزية الواقع المادي والنثري والمنطقي زائفا في الدلالة على الحقيقة وأنه قناع يسترها ويوهم بها ويخادع الإنسان اليومي القاصر الذي يرتضي ما تبذله الحواس، وفي هذا السبيل كانت الرمزية حركة صوفية متعلقة بالسر.»[27] فإن الحركة الصوفية تمثل الرمزية أفضل تمثيل؛ إذ إنها لجأت إلى استعمال الرمز، وعمدت إلى تحميله دلالات تختلف باختلاف النفس الشاعرة، وباختلاف السياقات التي يرد فيها، فأضحى الرمز الواحد يختلف من شاعر إلى آخر، بل ويختلف حتى لدى الشاعر نفسه، فالرمز الوفي من أهم ميزاته :« أنه يتشكل من رحم المعاناة النفسية، ولذلك تتبدى الصورة التي تنهض في بنائها عليه، صورة حبلى بدلالات ومشحونة بتداعيات يشكل السياق محضنا لولادتها وتفجرها المستمر.»[28] وقد أبدع الشاعر عثمان لوصيف لنفسه رموزا صوفية خاصة به، بل شحنها بدلالات تختص به دون غيره، فعكس بذلك تجربة شخصية عاشها فعلا، وخلدتها قصائده .

هوامش

[1] ابن عيد العطوي ، مسعد ، الرمز في الشعر السعودي ، مكتبة التوبة ، الرياض ، السعودية ، ط 1 ، 1993م ، ص 31 .

[2] المرجع نفسه ، ص30 .

[3] المرجع نفسه ، ص 31 .

[4] المرجع نفسه ، ص 31 .

[5] ملا ابراهيمي ، عزت وآخرون ، الرمز وتطوره الدلالي في الشعر الفلسطيني المقاوم ، مجلة القسم العربي ، جامعة بنجاب – لاهور ، باكستان ، العدد 24 ، 2017م ، ص 138 .

[6] المرجع نفسه ، ص 129.

[7] عبد الله خلف ، جلال ، الرمز في الشعر العربي ، مجلة ديالى ، جامعة ديالى ، العدد 52 ، 2011م ، ص 2 .

[8] يوسفي ، سوهيلة ، الرمز ودلالته في القصيدة العربية المعاصرة – قراءة في الشكل – خليل حاوي أنموذجا ، أطروحة دكتوراه جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس ، الجزائر ، 2017م / 2018م ، ص ب.

[9] خلف سليمان العيايدة ، عاطف ، الرموز المحورية في شعر محمود درويش دراسة سيميائية تحليلية ، أطروحة دكتوراه ، جامعة مؤتة ، مؤتة ، 2015م ، ص 12 .

[10] يوسفي ، سوهيلة ، الرمز ودلالته في القصيدة العربية المعاصرة – قراءة في الشكل – خليل حاوي أنموذجا ، ص 137 .

[11] بن هدي ، زين العابدين ، ترجمة الرموز الدينية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" للطاهر وطار – دراسة تطبيقية- ، مذكرة ماجستير ، جامعة أحمد بن بلة ، وهران 1 ، الجزائر ، 2015م ، 2016م ، ص 36.

[12] حماني ، هجيرة ، دلالة الرمز في الديوان الشعري "اللؤلؤة" لعثمان لوصيف ، مذكرة ماستر ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، 2015م ، 2016م ، ص 31 .

[13] جودة نصر ، عاطف ، الرمز الشعري عند الصوفية ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، دار الكندي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1978م ، ص 163 .

[14] كروش ، خديجة ، تناص الخطاب الصوفي والإسلامي في ديوان أسرار الغربة لمصطفى الغماري ، مذكرة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، الجزائر ، 2011م ، 2012م ، ص 67 .

[15] جودة نصر ، عاطف ، الرمز الشعري عند الصوفية ، ص 503 .

[16] قرفي ، السعيد ، بناء الأسلوب في شعر عثمان لوصيف ، أطروحة دكتوراه ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، الجزائر ، 2017م ، 2018م ، ص 307 .

[17] الخطيب ، علي ، اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، د ط ، 1404هـ ، ص 11.

[18] لوصيف ، عثمان ، اللؤلؤة ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، د ط ، 1997م ، ص 30.

[19] المصدر نفسه ، ص 7 .

[20] لوصيف ، عثمان ، أعراس الملح ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د ط ، 1988م ، ص 75.

[21] المصدر نفسه لوصيف ، ص 76.

[22] لوصيف ، عثمان ، قالت الوردة ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، د ط ، 2002م ، ص 28.

[23] المصدر نفسه ، ص 68.

[24] لوصيف ، عثمان ، براءة ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، د ط ، 1997م ، ص 54.

[25] يوسفي ، سوهيلة ، الرمز ودلالته في القصيدة العربية المعاصرة – قراءة في الشكل – خليل حاوي أنموذجا ، ص 80 .

[26] لوصيف ، عثمان ، شبق الياسمين ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د ط ، 1986م ، ص 11.

[27] يوسفي ، سوهيلة ، الرمز ودلالته في القصيدة العربية المعاصرة – قراءة في الشكل – خليل حاوي أنموذجا ، ص 80 .

[28] قرفي ، السعيد ، بناء الأسلوب في شعر عثمان لوصيف ، ص 365.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف–المسيلة

مخبر الشعرية الجزائرية

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

دعوة للمشاركة

الأستاذة الفاضلة:مليكة صياد–جامعة الجلفة

تحية طيبة وبعد:

تتشرف اللجنة العلمية للملتقى الوطني الثالث:**أشعار عثمان لوصيف بين الفن و التصوف**،والذي سينعقد،يوم الاثنين 29/أفريل/2019م،بالتنسيق مع كلية الآداب واللغات بجامعة المسيلة،بدعوتكم للمشاركة في أشغاله،وتقديم مداخلتكم الموسومة :**الرموز الصوفية بين العموم والخصوصية–دراسة في التجربة الشعرية لدى عثمان لوصيف–**.وذلك بمدرج المكتبة المركزية بالجامعة، بداية من الساعة الثامنة والنصف صباحا.

مع خالص التحيات،والأمنيات بالتوفيق والسداد.

حرر بالمسيلة في:2019/03/17م

مدير المخبر

مدير مخبر الشعرية الجزائرية
أ.د. فتحي بوخالفة

مخبر الشعرية الجزائرية – وزارة التعليم العالي و البحث العلمي – جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

***هام جدا:**

-ترسل النصوص الكاملة للمداخلات قبل تاريخ:15/أفريل/2019،على البريد الإلكتروني للمخبر بصيغةword.

-تننشر الأعمال التي تلتزم بقواعد البحث العلمي،وشروط النشر.

-تمنح شهادة المشاركة للحاضرين الذين شاركوا فعليا فقط.

-لا يتكفل المخبر بنفقات الإيواء،والإطعام.

-برنامج الملتقى منشور في الموقع الإلكتروني للمخبر،يرجى تنزيله من هناك.

***نسخة ل:**

-الأرشيف